الأعمال الدينية لفخامة الأخ الرئيس علي عبدالله صالح

■ ماهي أبرز الأعمال الدينية لفخامة الرئيس علي عبدالله صالح؟

الدكتور أحمد الأصبحي- عضو مجلس الشورى يجيب على هذا السؤال في المحاضرة التي ألقاها في اللقاء التشاوري لقيادات العمل الارشادي و الذي نظمته وزارة الأوقاف الأسبوع الماضي في صنعاء.. «الميثاق» تنشر نص المحاضرة:

إنجاز الميثاق الوطني يعتبر عملاً دينياً بارزاً للأخ الرئيس سواء بمسلكية الحوار الوطني أو بمضمون الميثاق الإيماني المستنير

رعايته للنشء والشباب (ذكوراً وإناثاً) ، وحرصه الشديد على إعدادهم إعداداً سليماً يلبي حاجياتهم ويؤهلهم لصناعة المستقبل

نجم في توحيد المناهج التعليمية وتكريس نهج الوسطية والاعتدال والقيم والمبادئ الاسلامية

■ بداية أراني أقف أمام إخوة لهم مقامهم المشهود بما أنهم مرشدون، وهم بمهمة الإرشاد جزء لا يتجزأ من مهام الدين هداية وتقويماً..وبمهمة التكليف جزء لا يتجزأ من مهام ولي الأمر..

● ويكفيكم شرفاً بهذه الصفة أنكم امتداد للوظيفة الرسالية التي بشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم..وما منكم إلا واعتلى منبر رسول الله، واستحق أن يُسمع له، وأن يُنصت لحديثه، طبقاً للمقولة المأثورة " إذا صعد الخطيب المنبر فلا أحد يتكلم، فإذا تكلم فقد لغى، ومن لغى فلا جمعة له..اسمعوا وانصتوا لعلكم ترحمون"..فالحكمة من الاستماع والإنصات تحقيق غاية الموعظة الحسنة، بمعناها الشامل في بناء المجتمع السوي والقوي، المتكافل، المتعاون، المعزز لروح الأخوة والمحبة والألفة والتسامح، ونبذ الفرقة والخلاف...

ومن يُحل بهذه القيم الكريمة يغدو حديثه محل تندر وسخرية، وهو ما حمل البعض على التهجم والتشكيك بتلك المقولة المأثورة، وذهب إلى اعتبارها ولبدة نظام حقبة تاريخية تحمي مصالحها بالإملاء والقهر الديني..والدين من القهر براء.

● ويكفيكم شرفاً بصفة الإرشاد أنكم تعكسون فكر قيادتنا السياسية الرشيدة ممثلة بفخامة الأخ الرئيس علي عبدالله صالح، الذي ما فتئ يولي رسالة الإرشاد اهتماماً لا ينقطع في سبيل بناء مجتمع سوي قائم على الوسطية والاعتدال، ناهض بمسؤولياته، مستوعب لدوره الرسالي..وهو موضوع حديثي معكم، والذي اخترت له عنواناً لن يغطيه هذا اللقاء: الأعمال الدينية لفخامة الأخ الرئيس.

وحسبي من اختيار هذا العنوان إعمال الفكر لدى كل منكم في استحضار هذه الأعمال التي لا تخفى على أي منكم، لتزدادوا همة إلى همتكم في أداء رسالة الإرشاد الديني.

ومن قبيل التذكير يكون من المناسب قبل الشروع في الحديث عن الأعمال الدينية لفخامة الأخ الرئيس، الوقوف معكم على مفهوم الدين مناط الإرشاد.

الدِّين : لغة المُلك والسلطان والحكم والتدبير، والورع.. من دانه ديناً أي ملكه وحكمه وساسه، ودبره وحاسبه، وجازاه، وكافاه.

من ذلك : " مالك يوم الدين "، أي يوم الحساب والجزاء.وفي الحديث : " الكيس من دان نفسه " أي حكمها وضبطها.ودان له أي أطاعه وخضع له، فالدين هنا هو الخضوع والطاعة، ودان بالشيء أي اتخذه ديناً ومذهباً، فالدين هنا هو المذهب والعقيدة.

والدِّين اصطلاحاً كما عرَّفه الإسلاميون : وضع إلهي سابق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل.

فالدِّين بمقتضى هذا الاصطلاح هو وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات.

ومن أشهر تعريفات الدين عند الغربيين ما قاله الفيلسوف كانط في كتابه الدين في حدود العقل : " الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية ".

وهذه المعاني والتعريفات حصرت الدين في نطاق الأديان الصحيحة المستندة إلى الوحي السماوي مثل الإسلام، ومثل اليهودية والنصرانية قبل تحريفهما، لكن هناك ديانات أخرى كالديانة الطبيعية التي تستند إلى العقل فقط، والديانة الخرافية التي تستند إلى الخيالات والأوهام، وهي وإن كانت تخرج في جوهرها عن معنى الدين كما حددته التعريفات السابقة – لاسيما تلك التي تتخذ الأوثان والحيوان والكواكب أو الجن آلهة – إلاَّ أن القرآن الكريم سماها ديناً..يقول الله تعالى :

" ومن يبتغ غير الإسلام ديناً، فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين " آل عمران : ٨٥.

ويقول جل شأنه : «لكم دينكم ولي دين».. «الكافرون :٦» والدين على ذلك منهاج حياة، وطريق، وسلوك.

إذاً في سياق هذا المفهوم سأقف معكم على بعض من الأعمال الدينية للأخ الرئيس، تاركاً لذاكرتكم الحية استحضار البعض الآخر.

ويتقدم أعماله الدينية :

أولاً : دعوته ورعايته وتعهده لحوار وطني شامل ومعمق بين مختلف فئات المجتمع وألوان طيفه السياسي، تدارك فيه حالة الفراغ السياسي في الساحة الوطنية، وأخرج المجتمع السياسي من المآزق والاحتقانات السياسية والخلافات الطاحنة التي أوشكت أن تمزق مجاميع من أبناء الوطن جراء الانحياز لهذا الفكر الدخيل أو ذاك..ويدرك الجميع حساسية وخطورة المرحلة التي سبقت مجيئ الأخ الرئيس إلى سدة الحكم، والتي قتل فيها زعماء في شطري الوطن..وقد شكل مجيئه بطريقة ديموقراطية تخليصاً للوطن من تلك الفتن والأوضاع المتردية، حيث اهتدى بحكمته إلى وضع حد للتناقضات بين مختلف القوى والتيارات المتصارعة في الساحة اليمنية حين اتاح لها جميعاً مناخاً ملائماً لحوار وطني شامل بدلاً من بقاء كل حزب مستكثراً لنفسه ملغياً للآخر، وفي حالة من التخندق والتمترس ضد بعضهم بعضاً، واستنزاف القدرات على حساب بناء الوطن.

وكان على فخامته أن يشكل لجنة للحوار الوطني، ويوفر لها كامل شروط الحوار : حرية تامة وشفافية عالية، وزمن مفتوح لجدية متواصلة وحوار مسؤول، واحترام كامل لكل رأي يطرح، فلا محاسبة على فكرة غريبة، ولا مصادرة لرأي، ولا تلقين فيه ولا إملاء ولا وصاية، ولا استماع لوشاية، ولا قرارات جاهزة، وصياغات معدة مسبقاً...ومتحررة من الحوارات الصورية والسردقية الشكلية..

وبالشروط والمناخات الكاملة للحوار أمكن للقائد المؤمن أن يسلك بالقوى السياسية المختلفة في منهجية حوارية تستأصل شأفة الأحقاد والضغائن من الصدور، وتؤلف بين القلوب، وتجمعها على كلمة سواء، تكرس خلالها :

- الإيمان بشرعية الاختلاف.
- ترسيخ مبدأ احترام الرأي والرأي الآخر.
- البحث عن الجوامع المشتركة واحترام الفروق.
- نبذ التعصب والتطرف.
- السعي نحو الاعتدال والوسطية والتوازن.

- الاتفاق على الثوابت الوطنية التي لا يختلف عليها اثنان.
- القبول بالحد الأدنى من المبادئ التي يلتقي عليها الجميع في صياغة نظرية للعمل الوطني.

وقد أفضت رعايته للحوار الوطني إلى صياغة مشروع الميثاق الوطني الذي استبين فيه رأي عموم المواطنين لينتهي الأمر إلى صياغة نهائية للميثاق الوطني تم إقرارها من قبل المؤتمر الشعبي العام، تنظيمنا السياسي الرائد.

وهكذا حقق الأخ الرئيس بحكمته أول آماله الوطنية الكبرى في ملء الفراغ السياسي، والتأليف بين ألوان الطيف السياسي وتخليصها من حالة التنافر لتلتقي حول ميثاق وطني، وتنظيم سياسي ضم في إطاره تعددية منابرية تنطلق من برنامج عمل سياسي تحددت فيه الخطوات العملية لمعالم طريق النهوض الوطني الشامل.

ويعتبر إنجاز الميثاق الوطني عملاً دينياً بارزاً للأخ الرئيس سواء بمسلكية الحوار الوطني، أو بمضمون الميثاق الإيماني المستنير المكرس لمنهج الوسطية والاعتدال، والذي يُقرأ بوضوح لا لبس فيه في جميع أبواب الميثاق بدءاً بالباب الأول : الإسلام عقيدة وشريعة، والذي لا شك قد تفحصتم صياغته مثلما تفحصتم سائر أبوابه التي تم صياغتها في ضوء الباب الأول..هذا فضلاً عن استهلال الميثاق بقوله تعالى : " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ".

ثانيا :تقنين أحكام الشريعة

ويعتبر موضوع تقنين أحكام الشريعة من أبرز أعمال الأخ الرئيس، وذلك من خلال إنجاز أحكام القانون المدني في المعاملات الشرعية المستمدة من مصادر الشريعة، حيث أوكل الأخ الرئيس إنجازه وإقراره، إلى مجلس الشعب التأسيسي، وبصدوره يمكن القول إنه قد اكتمل للدولة اليمنية نظام قانوني شامل، وهو النظام المستمد دون ريب من الشريعة الإسلامية في أرقى ما وصل إليه الفقه الإسلامي، وفي مقدمته المدرسة الفقهية الشرعية اليمنية (فقه المصلحة والعمل) دون التقيد بمذهب معين، وبه تكون اليمن قد سبقت في هذا المضمار سائر الدول العربية والإسلامية في تقنين أحكام الشريعة الإسلامية.

ولقد عبَّر الأخ الرئيس عن أهمية هذا الإنجاز الديني الرائع في تصديره لكتاب القانون المدني، والذي جاء فيه :

" إننا وبعد أن استعرضنا أحكام القانون المدني في المعاملات الشرعية المستمدة من مصادر الشريعة وهي : القرآن الكريم – والسنة النبوية – الإجماع – والقياس..المنجز والمقر من قبل السلطة التشريعية ممثلة في مجلس الشعب التأسيسي... نصدق عليه، ونصدره ليلتقي القرن الأول الهجري مع القرن الخامس عشر الهجري...وإنه لمجهود على ضخامته وأسلوبه الفروعي الفقهي البليغ الرفيع ليس على اليمن بغريب لا من فجر التاريخ فحسب، بل من فجر الحضارة الذي فجره اليمانيون قبل غيرهم.

وما أحوج العالم الإسلامي اليوم إلى توحيد تشريعاته على أساس أحكام الشريعة الإسلامية التي هي مصدر قوته وعزته ومجده...فدينا الإسلامي الحنيف ليس بحاجة إلى إبراز الدور الرائد الذي قام به في إخراج الإنسانية من الظلمات إلى النور...بل بحاجة إلى وحدتنا وتكاتفنا لما فيه عزتنا..

وإن اليمن لتعتز برجالاتها الذين أعملوا فكرهم في الاستنباط والتقريب لهذا القانون..ونعتبر هذا العمل هدية للعالم الإسلامي، بل للإنسانية جمعاء..نضعها بين أيديهم بكل اعتزاز باكورة إنتاج غني مستمر إن شاء الله.

وإن الدخول في هذا المضمار لا يجعل من هذه المحاولة خاتمة المحاولات...بل إنها محاولة نرجو أن يحذو حذوها إخواننا في العالم الإسلامي الذين لا تستهويهم التجارة، وإنما يستهويهم العلم الخالص، وما أكثرهم، ولعلهم واجدون ما يحتاج التصويب في هذه المحاولة، ففي الشريعة الإسلامية مجال للاجتهاد المستنبط من مصادرها...ومن ثم كانت عظمة الإسلام وعمقه وجلاله..".

إننا نقرأ في هذا التصدير عملاً دينياً يؤصل لمفهوم إسلام بلا صراع مذاهب.

ثالثا :قيام الجمهورية اليمنية

لقد جعل الأخ الرئيس من أعماله الوطنية والدينية الرائدة سبيلاً إلى الانجاز التاريخي الكبير، وهو إعادة تحقيق الوحدة اليمنية، وذلك إعمالاً للواجب الديني وتجسيداً لأهداف الثورة اليمنية ونصوص الميثاق الوطني، مستنداً بقيادته الفذة إلى الشعب والمؤتمر الشعبي العام في عمل حثيث لقيام دولة الوحدة...حيث طويت في عهده مسافة الوصول إلى يوم الوحدة بسرعة قياسية، فقد استطاع أن يحيل نتائج حرب ١٩٧٩م، بين شطري الوطن إلى إنجازات سلمية على طريق الوحدة، تمثلت بتنشيط عمل لجان الوحدة، وتغليب منطق الحوار السلمي، وتحكيم العقل عوضاً عن اللجوء إلى العنف والحرب..وقيام لجنة التنظيم السياسي آخر لجان الوحدة والتي أسهمت بفضل توجيهاته في تسريع الخطى صوب الوصول إلى ذلك اليوم التاريخي الذي رفع فيه علم الجمهورية اليمنية في الثاني والعشرين من مايو ١٩٩٠م.

رابعا :دستور الجمهورية اليمنية

يشكل دستور الجمهورية اليمنية الأساس المتين للنظام السياسي والقانوني، وبقيادة الأخ الرئيس المؤمن ارتكزت مواد الدستور على الأسس الدينية التي اشتمل عليها الفصل الأول من الباب الأول حيث نصت المادة (١) :

الجمهورية اليمنية دولة عربية إسلامية، مستقلة ذات سيادة، وهي وحدة لا تتجزأ، ولا يجوز التنازل عن أي جزء منها، والشعب اليمني جزء من الأمة العربية والإسلامية.

ونصت المادة (٢) :

الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية.

ونصت المادة (٣) :

الشريعة الإسلامية مصدر جميع التشريعات.

ومعلوم أن الوطن المشطر كان له دستوران، أحدهما علماني والآخر نابع من الشريعة الغراء، والتي تم الاستناد إليها في صياغة دستور دولة الوحدة، وهو ما يشكل أحد الأعمال الدينية المنجزة في عهد الأخ الرئيس.

خامساً : الأمن والسلام الاجتماعي

ومن أعمال الأخ الرئيس الدينية تعزيز الأمن والسلام الاجتماعي، وذلك من خلال بناء دولة النظام والقانون، والتنمية الشاملة بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية..وتمثل ذلك عملياً ببناء القوات المسلحة وقوات الأمن والشرطة، وتحديثها، جنباً إلى جنب مع البناء الديموقراطي التعددي، والمشاركة السياسية والشعبية في إدارة الدولة وصناعة القرار، والبناء الاقتصادي المعتمد على الخطط الخمسية، والهادف تحسين مستوى معيشة المواطنين وحسن استغلال الثروة الوطنية وتوفير الموارد اللازمة للتنمية الاجتماعية وعلى الأخص تعميم المعرفة، ونشر التعليم وتجويده في مختلف مراحله وأنواعه، وفي تطوير الخدمات الصحية والطبية وفي توسيع شبكة الطرقات والمواصلات والاتصالات التي عدت بحق ثورة تقنية وعملاً مشهوداً على أرض الواقع..وأجدني أستحضر قول الرسول الكريم : " ليتمنَّ الله هذا الأمر، وليسيرنَّ الراكب بين صنعاء وحضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه !.." أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان الأخ الرئيس قد كرس جهوده لنجاح الخطط التنموية، ولتعزيز دولة النظام والقانون ؛ فإن مهمة الأمن الاجتماعي مهمة كل مواطن في مختلف مواقع المسؤولية الفردية والجماعية، وظيفية كانت أو حزبية أو تنظيمية أو اجتماعية، فالكل مندرج في قوله تعالى : " الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ".

سادساً :تعميق الشورى والديموقراطية وتحديث آليته ممارستها ورعايتها:

أخذ الأخ الرئيس على عاتقه مهمة كفالة حق المواطنين في ممارسة حقوقهم الفردية والعامة، وصونها، وتهيئة أسباب تحقيق المواطنة الصالحة إيماناً منه أن هذه الحقوق هي أساس الشعور بالكرامة وأساس قيام الحكم الرشيد، فالشعب مالك السلطة ومصدرها، ويمارسها بشكل مباشر عن طريق الاستفتاء والانتخابات العامة، كما يزاولها بطريقة غير مباشرة عن طريق الهيئات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وعن طريق المجالس المحلية المنتخبة على نحو ما نصت عليه المادة الرابعة من الفصل الأول في الباب الأول من الدستور، وما ذهبت إليه المادة الخامسة منه في قيام النظام السياسي للجمهورية على التعددية السياسية والحزبية، وذلك بهدف تداول السلطة سلمياً.

إنَّ النجاحات المتحققة لشعبنا في هذا المجال، والتي تعود في الأساس إلى الثقافة الإيمانية للأخ الرئيس لتعد من أهم أعماله الدينية في واقع الحياة السياسية والاجتماعية لشعبنا، يشده إلى ريادتها في عهده الميمون ارتباطه الوثيق واعتزازه العظيم بالتاريخ الشوروي الديموقراطي لشعبنا الذي خلده القرآن الكريم بقوله تعالى : " قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون.قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد، والأمر إليك، فانظري ماذا تأمرين ".

وبإيمانه العميق بأنَّ الإسلام ما قرر هذه القيم إلاَّ لأنها أساس نجاح الحكم واستمراريته، وعنوان صلاحه.

سابعاً :أعمال دينية أخرى

لما كان زمن المحاضرة لا يتسع لتفاصيل أكثر، فيمكن الإشارة إلى بعض آخر من الأعمال الدينية للأخ الرئيس ومن ذلك :

- اهتمامه البالغ بالمؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية، وتتجلى في نجاح توجيهاته بتوحيد المناهج التعليمية والمكرسة لنهج الوسطية والاعتدال للقيم والمبادئ الإسلامية والشريعة الغراء، وفي نشر التراث الفكري والفقهي وقيام دُور الكتب والمكتبات العامة وبيوت الثقافة..

- رعايته للنشء والشباب (ذكوراً وإناثاً)، وحرصه الشديد على إعدادهم إعداداً سليماً يلبي حاجياتهم، ويؤهلهم لصناعة المستقبل، وذلك بتحويل حاجاتهم الجسدية والفكرية والروحية والنفسية والاجتماعية إلى سياسات يوجه بها الحكومة لدمجها في برامجها وسياساتها العامة، واعتماد الآليات التنفيذية لها.

- تقديره لمكانة المرأة، وتمكينها من أداء دورها الفاعل في المشاركة السياسية التي كفلها لها ديننا الإسلامي الحنيف.

- تحديث وتطوير وزارة الأوقاف والإرشاد سواء في حفظ أموال الأوقاف، وحسن إدارتها، وتنميتها واستثمارها في ما أوقفت له، أو في حثه الدؤوب على تعظيم وتجويد العمل الإرشادي على أساس من الوسطية والاعتدال..

وما قيام مدارس تحفيظ القرآن الكريم وارتباطها بوزارة الأوقاف والإرشاد، وبناء العديد من المساجد والجوامع المنتشرة في عموم الجمهورية، والاهتمام برسالة المسجد، وتوجيهه بكتابة المصحف الشريف، وطباعته بكميات كبيرة لتكون في متناول المواطنين، وقيام المعهد العالي للإرشاد، وعقد الدورات المتعددة، واللقاءات التشاورية للخطباء والمرشدين، ولقاءاته بكم من حين لآخر وما نحن بصدده في هذا اللقاء التشاوري- إلا أحد صور اهتماماته بالمجال الدعوي الهادف بناء القدرات الإرشادية المؤهلة لأداء دور رسالي في بناء مجتمع صحيح في تصوراته للإنسان والكون والحياة، وفي علاقاته السوية القائمة على الأخوة والمحبة والتعاون والتسامح، محصن الفكر، مستقيم السلوك لا مجال بين صفوفه لنمو النزعات التطرفية.

- إنَّ انطلاق الأخ الرئيس من نهج الوسطية والاعتدال مكنه من أداء دور رسالي على الصعيدين العربي والإسلامي في تعزيز التضامن، وإصلاح ذات البين، وحل إشكالات الحدود مع دول الجوار الشقيقة (المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان ودولة ارتيريا)، وكذا قيامه بالمبادرات الرامية إلى إصلاح النظام العربي، وإصحاح العلاقات البينية ومواجهة الأخطار المحدقة بالأمة، وتقديم الصورة الحضارية لأمتنا من خلال تشجيعه لحوار الثقافات والحضارات.

ولقد انعكست جهوده هذه على بلادنا بالمكانة الرفيعة التي تحتلها بين البلدان الشقيقة والصديقة، والمنظمات الإقليمية والدولية.

إنَّ كل عمل يقوم به الأخ الرئيس، أو يرعاه، أو يقره عبر مختلف مؤسسات الدولة لمصلحة الشعب والأمة، إنما يقع في صميم الأعمال الدينية..فلا فصل بين الدين والسياسة ومهام الدولة، طالما كانت السياسة قوية، والحكم رشيداً، والمجتمع مسلماً.

فغاية الشريعة هي تحقيق المصالح الكبرى، والتي صنفها العلامة الشاطبي إلى ثلاث مصالح : ضروريات : يقصد بها حفظ الدين والنفس والعقل والنسب والمال.. حاجيات : يقصد منها رفع التضييق عن حياة الناس المؤدي إلى الحرج والمشقة.. وتحسينات : يقصد بها جملة العادات الحسنة ومكارم الأخلاق.